المبحث الأول

سهولة الإتيان .. وصعوبة المجيء

المبحث الأول

سهولة الإتيان .. وصعوبة المجيء

سـهولة الإتيـان :

جمهرة أهل اللغة ـ كما سبق بيانه ـ على أن الإتيان مجيء بسهولة ، ويكون مرجع السهولة فيه إلى كون الحركة صادرة عن طواعية ورغبة ، أو لوقوع الفعل حال انقياد وطاعة ، أو فى معرض بيان التفضل به دون وجوب أو إلزام ، أو فى مقام بيان سهولته لقدرة الفاعل عليه ، أو لأن الإتيان قد فارقه ما يجعله صعبا ... وفى جميع المقامات والسياقات التى تدل على سهولة المجيء ، من شواهد ذلك :

١ – قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّه وَرَسُوله مَا عَلَى الْمُحْسنينَ من سَبِيلٍ ، واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْه تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

جاءت الآيتان الكريمتان فى سياق نفى الحرج عن بعض جماعات المؤمنين الذين لا يستطيعون الحرب مع رسول الله ﷺ ومنهم قوم لا يملكون عدة الحرب ، أتوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم على ما يستطيعون به الجهاد .

والوجه فى التعبير بقوله جل وعلا : « أتوك .. » الدلالة على سهولة إتيانهم ، لأنه صادر منهم عن رغبة ملحة ، سهلت حركتهم ، وليس ذلك عن تكليف لهم ، أو تكلف منهم ، فيصعب عليهم لمشقة ذلك .

فالفعل (أتى) قد نهض بالدلالة على خفة حركتهم وسهولتها لرغبتهم فى ذلك .

٢ – وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعينَ ﴾ (٢) .

---

(١) التوبة : ٩١ – ٩٢ .

(٢) فصلت : ١١ .

الإتيـان فى قوله تعـالى : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ إتيان سـهل ؛ لأنـه صـادر عن انقياد وطاعة ، دون امتنـاع أو أدنى تردد . والتسـاوق بين (أتينا) و (طائعين) واضح الدلالة على ذلك ، فضلا ـ عما نعلمه ـ من عـدم وجود فاصل زمنى بين الأمر والإجابة ؛ لأنه ـ جل وعلا ـ « إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » أى بلا تلبث وانتظار .

فالإتيان فى ذلك سهل سهولة تناسب قدرة الآمر جل وعلا وتجلى ذلك فى انقياد المأمور وطاعته .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (١) الوجه فى الإتيان بالفعل (أتى) ـ والله أعلم ـ الدلالة على سـهولة حركَة المجىء ؛ لأنه مجىء انقيـاد وقهر ، بدلالة مقـام الآية ومساقها . لأن الحديث عن الفزع يوم القيامة ، وما يصيب الناس من الفزع عند النفخ . مما يجعل حركتهم سهلة سريعة لا بطء فيها . والسياق بما فيه من كلمة (فزع) ودلالتها على الخوف وعدم السـكون ، وما فيه من كلمة (داخـرين) بدلالتها على الصـغار والهوان ـ كل ذلك له ارتباط بسـرعة الحركة وخفتها ، وعدم التأبى الذى يجعل الحركة بطيئة صعبة .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢) الوجـه فى الإتيـان بالفعـل (أتى) فى قوله تعالى ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ ـ وهو أعلى وأعلم ـ الإعلام بسـهولة الإتيان بمثقال الحبة والعلم بها ؛ لأن ذلك من القادر على الفعل ، الذى لا يعجزه ، ولا يصعب عليه شىء .

فضلا عن أن الإتيان عن تكرم ، لا وجوب فيه ولا إلزام .

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٣) ﴿ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ أى إتيانا

---

(١) النمل : ٨٧ (٢) الأنبياء : ٤٧ (٣) المؤمنون : ٧١ .

سهلاً ، لأنه بقدرة الله جل وعلا ، وبتفضل منه فى ذلك من غير أن يطلبوه أو ينتظروه .

٦ – وقوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى تسهل أمر الله وحصل وعداً ؛ فلا تستعجلوه وقوعاً ، أو أتت وتسهلت مبادئه وأماراته ؛ ويمكن أن يكون على سبيل المجاز ؛ بأن يكون عبر بالماضى عن المستقبل (٢) .

فالإتيان بالفعل (أتى) للدلالة على قربه وسهولته ، وأنه فى حكم ما ألم بكم ، ونفذ إليكم ، فقد جاء الفعل فى مقام بيان قدرة الفاعل على الفعل .

واجتماع الفعل (أتى) الدال على السهولة ، مع النهى عن الاستعجال تقريع لهم ، وإعلام بأن ما يستعجلونه سهل الوقوع ، بل كأنه وقع فعلا لسهولته ، لأن الله قادر على ذلك ، ومن قبيله :

٧ – قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (٣) .

﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ ﴾ ، أى أمره ، أو عذابه ، والإتيان بالفعل (أتى) لأن الآية فى معرض الحديث عن قدره الله تعالى التى لا تحيط بها الظنون ولا تكيفها العقول ، فإتيان الله لهم سهل ، ومن حيث لم يحتسبوا .

٨ – قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ (٤) .

قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ أى انتقلت به إليهم انتقالا سهلا لا صعوبة فيه ؛ لأن الحال حال طمأنينة ؛ لاستقرار نفسها ، وعلمها أن ما كانت تظنه عاراً عليها هو خير لها ، وكرامة لولدها ، روى الطبرى عن ثقات : « أنساها ـ يعنى مريم ـ

---

(١) النحل : ١ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٤٧٢/٥ .
(٣) الحشر : ٢ .
(٤) مريم : ٢٧ .

كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذ كلمها ـ أى عيسى ـ وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ، ثم أقبلت به إلى قومها » (١) .

أما قول قومها لها : ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى عظيماً ـ بالتعبير بلفظ (جاء) لأنه المناسب لحالهم ، واعتقادهم أن ما وقع من مريم من قبح الفعل وجهارته ، وإعلانه بدليله وشاهده وهو عيسى ـ دون إخفاء أمر صعب مستغرب .

ومما هو واضح الدلالة على ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن موسى ـ عليه السلام ـ عند سيره بأهله .

٩ ـ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

١٠ ـ وقال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٣) .

١١ ـ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

تتحدث الآيات الكريمة عن مجيء موسى عليه السلام وإتيانه إلى ما ظنه ناراً ليجد هدى ، ويأخذ ما يصطلى به هو وزوجه عند سيره بها فى الطريق .

والوجه الذى نراه فى ظاهر الآيات ـ والله أعلم بمراده ـ أن الإتيان بالفعل (جاء)

---

(١) جامع البيان ٧٦/١٦ .
(٢) النمل : ٧ ، ٨ .
(٣) طه : ٩ ـ ١٢ .
(٤) القصص : ٢٩ ، ٣٠ .

فى آيات النمل لأن حركه المجيء كانت فى بدئها فهى حركة صعبة ، فيها تحمل ومشقة ، وللسياق دلالته على هذا البدء بقوله (سآتيكم) فالسين تدل على الاستقبال وأن حركة المجيء ، فى بدئها ، وأنه لم يصر بعد ممن حول النار .

أما الفعل (أتى) فى آيات سورتى طه والقصص فلأن ـ موسى عليه السلام – قد وصل الى النار ، وانتهت حركة مجيئه إليها بما فيها من صعوبة ، ولذلك يظهر رجاؤه فيها جاء من أجله ، فى قوله : ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ـ ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ وكذلك قوله لأهله « امكثوا » وذلك لأنه صار على مقربة منها .

وهكذا يساعدنا إنعام النظر فى مقامات الآيات وسياقاتها على حسن إدراك وجوه الإتيان بكلا الفعلين فى القرآن الكريم .

ومما نلمح معه سهولة الإتيان السلطان والحجة ؛ لأن إتيان السلطان إتيان ظهور وانكشاف؛ مما يجعله أكثر ارتباطا بالسهولة والنفاذ من ذلك :

١٢- قول الله تعالى عند الحديث عن المسرفين المرتابين : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (١) .

١٣- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ أى حجة تسهلت لهم ، ووصلت إليهم ونفذت فيهم ، وتمكنت منهم حتى أزالت ما عندهم من شبهة ، فالإتيان فيه سهولة.

وسبيل نفى السهولة سبيل الإثبات ، إذ قد يأتى الفعل (أتى) منفياً للدلالة على انتفاء تسهل الإتيان ، من ذلك .

١٤- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) غافر: ٣٥ . (٢) غافر : ٥٦ . (٣) القصص : ٤٦ .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أى ما تسهل لهم مجيء النذير ، وما يسرنا لهم ذلك قبلك ، ولكن الله تفضل عليهم بك وسهل لهم رسالتك ، وسياق الآية الكريمة يدل على هذه السهولة بإظهار محض فضل الله تعالى عليهم ، وذلك باكتناف الإخبار بإنذاره قومه بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ وقوله تعالى : رجاء أن يتذكروا : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ كل ذلك له دلالته الواضحة على تسهل إرسال المصطفى عليه الصلاة والسلام إرسالا لم يتسهل لما قبلهم .

ومن ذلك ـ أيضاً ـ :

١٥- قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) فقوله تعالى : ﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أى ما تسهل إرساله إليهم . وأسلوب الرجاء فى التذكر والهداية فى الآيتين له وثاقة صلة بالسهولة التى يدل عليها الفعل (أتى) .

ـ صعوبة المجيء : يتميز الفعل (جاء) بدلالته على الصعوبة ، وتكون راجعة إلى ما فى حركته من مشقة وكلفة ، أو إلى ما فيه من شدة ورهبة وقهر أو استفظاع تجعله ثقيلاً صعباً ، أو لكون الجائى ذا بال وشأن .. إلى غير ذلك مما يشير إلى أن الفعل له خطره .

فمن شواهد مافيه صعوبة فى حركته ، ومشقة فى تحملها :

١٦- قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُواْ ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقُواْ ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ ، يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

الوجه فى الإتيان بالفعل (جاء) فى الآية الكريمة ـ والله أعلم ـ أن الحركة هنا

---

(١) السجدة : ٣ .

(٢) الممتحنة : ١٠ .

فيها مشقة الهجرة والانتقال ، وتحمل أذى المشركين والسياق بما فيه من متعلقات بالفعل من المهاجرة ، والمبايعة ، والنهى عن إرجاعهن إلى الكفار ـ له دلالة على صعوبة الفعل .

١٧- وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

المجئ هنا كالمجىء فى الآية السابقة ، مجىء صعب ؛ لما فيه من تبعة ، وتحمل ، وعزيمة على طاعة ، وتنفيذ مبايعة ، لذلك كان غير سهل التحقق والقيام به إلا على أهل الإيمان والتحمل .

وقد تكون صعوبة حركة المجىء راجعة إلى من جىء به ، لا إلى فاعل المجىء ، وقدرته عليه من ذلك :

١٨- قول الله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً ، وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ من بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى ، إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ المجىء هنا صعوبته راجعة إلى يعقوب وأهله الذين جاء الله بهم من البادية إلى مصر ، فهذه الحركة فيها من المشقة والصعوبة التى ترجع إليهم ، لا إلى الله جل وعلا ؛ لأنه قادر لا يعجزه شىء ، ونلحظ هنا ما لسياق الآية من دلالة على هذه الصعوبة من كونه : (من البدو) و (من بعد أن نزغ الشيطان) بين يوسف وإخوته .

---

(١) الممتحنة : ١٢ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

١٩- وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

﴿ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ المجيء هنا في مقام إظهار خطر الفعل وعظمة شأنه لصدوره من القادر عليه ، وصعوبة المجيء راجعة إلى ماجيء به لا إلى الجائي جل وعلا .

٢٠- وقال تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٢) .

ما جيء به شيء له خطره ورهبته ولا يقدر عليه إلا الله جل وعلا ، فحركة جهنم حركة صعبة ، وقانا الله شرها .

ومن قبيل رجوع صعوبة الفعل إلى من جيء به لكون المجيء به ذا شأن ما يأتي :

٢١- قول الله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

٢٢- وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾ (٤) ، فالمجيء في هذه الشواهد مجيء صعب صعوبة ترجع إلى من جيء ، ومن حيث كونه مجيئاً ذا شأن وخطر لوقوعه من الله القادر (جل وعلا) .

وقد يكون ثقل المجيء راجعاً إلى عامل نفسي أكثر من كونه راجعاً إلى حركة الفعل ، فينجر هذا الضيق النفسي إلى حركة الفعل ؛ فيجعلها صعبة ثقيلة يتضح ذلك في الشواهد الآتية :

٢٣- قال تعالى في استثناء فريق من المنافقين بألا يقتلوا : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ، فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ (٥) .

---

(١) الكهف : ١٠٩ .
(٢) الفجر : ٢٣ .
(٣) الزمر : ٦٩ .
(٤) النساء : ٤١ .
(٥) النساء : ٩٠ .

فى الآية استثناء من قتل المحاربين لقوم يرتبطون بمن عاهدهم المؤمنون ، وقد جاءوا بنفوس قلقة مضطربة تتردد بين قتال المؤمنين وقتال قومهم ، فانجر هذا الاضطراب على حركة مجيئهم إلى المؤمنين ، فثقل المجيء عليهم ، لذا كان المناسب الإتيان بالفعل (جاء) .

٢٤- وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

المقام هنا لمجيء قوم إلى رسول الله ﷺ وهم على نية المعصية ، وبنفوس مريضة تتلظى حقدا وغيظا ، ويتجلى ذلك فى مخاطبتهم لرسول الله ﷺ ، فمجيئهم صعب ثقيل.

٢٥- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

نزلت الآية فى أناس من اليهود ، وكانوا يدخلون على النبى ﷺ فيخبرونه بأنهم مؤمنون ، راضون بالذى جاء به ، وهم يكتمون كفرهم (٣) ، فمثل هؤلاء لا يكون مجيئهم إلا صعباً ثقيلاً .

٢٦- وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (٤) .

﴿ جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ المجيء ثقيل بأهدافه ، فنواياهم السيئة بادية فى جدالهم وافترائهم .

---

(١) المجادلة : ٨ .
(٢) المائدة : ٦١ .
(٣) ينظر جامع البيان للطبرى : ٢٩٦/٦ .
(٤) الأنعام : ٢٥ .

٢٧- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ المجيء هنا محاط بالريبة ، لأنه مجيء إفساد ، إصابة بالشرور ، والندم على الاستجابة له . فهو مجيء صعب ثقيل ، ممن جاء ، وعلى من جيء إليه .

٢٨- وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

مجيء المنافقين ثقيل ؛ لأنهم يدركون أنهم موضع ريبة ، لما انطوت عليه نفوسهم من الكذب .

ومما هو مجيء صعب مقيت ؛ لأنه يحمل فى طياته عبء نفوس أثقلتها تبعات الإيمان ـ المجيء فى الآية الآتية :

٢٩- قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ﴾ المجيء للاعتذار عن فرض الجهاد ، لذا فهو ذو عبء ومشقة ؛ لأن المقدم عليه يشعر بأنه يهرب من تبعة واجبة عليه ، لذا لايكاد يرى إلاوهو يقدم رجلا تارة ويؤخر أخرى ، ويخاف عند المجيء للاعتذار من مكاشفته بجبنه ونفاقه .

أما الذين اطمأنت قلوبهم واستخفوا تبعات الإيمان ورضوا بها فإن مجيئهم يكون سهلا عليهم وعلى غيرهم ، ولا يخفى اختلاف المقام فى الآية السابقة عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ (٤) .

فإن الجو النفسى فى هذه الآية يختلف عنه فى الآية (٩٠) السابقة لأن المجيء .

---

(١) الحجرات : ٦ .
(٢) المنافقون : ١ .
(٣) التوبة : ٩٠ .
(٤) التوبة : ٩٢ .

من نفوس راضية مطمئنة استعذبت الإيمان واستخفت تكاليفه ، لذا كان مجيئاً سهلاً لينا لا كراهة له ولا خوف منه كما كان فى الآية (٩٠) والله أعلم .

وقد يكون الجو النفسى الذى يناط به ثقل المجىء وصعوبته راجعا إلى من يكون المجىء إليه ، لا إلى الجائى ، من ذلك :

٣٠- قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (١) .

المجىء ، صعب بمساعدة المقام الذى كان فيه لوط ـ عليه السلام ـ ثم إنه مجىء ، بعذاب لقومه ، كما يدل عليه سياق الآيات ، وقول لوط : « هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ » فالمجىء صعب ثقيل .

وقد تكون مشقة المجىء والكلفة فيه راجعة إلى كون ما يؤتى به مستبعدا لدرجة الاستحالة أو قريب منها ، أو لأنه لا تجرى به العادة ، وإن كان فى ذاته ممكن الوقوع .

فمثال ما هو مستبعد لدرجة الاستحالة .

٣١- قول الله تعالى : ﴿ لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

لا شك أن المجىء بالشهداء على ما ادعاه المنافقون فى حديث الإفك على بيت النبوة مستحيل ، بل بعيد صعب فى حق غيرهم ، لطهارة آل البيت ، ولأن المجىء بالعدد المشروط فى الشهادة على هذه الأمور الخطيرة ـ تحرزا وحيطة ـ صعب تحققه ومن ثم أخبرت الآية بأنهم لم يأتوا با لشهداء ، أى أنه لم يتسهل لهم ، لذا استحقوا الوصف بالكذب وحصرهم فى هذه الصفة .

ومثال ما هو مستبعد المجىء به ، فيكون لذلك ثقيلا :

٣٢- قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) هود : ٧٧ . (٢) النور : ١٣ . (٣) يوسف : ٧٢ .

﴿ جَاءَ به ﴾ أى لصواع الملك ، وهو مجيء صعب ، وترجع الصعوبة إلى كونه محل طمع ، لذلك أجزلوا العطية والمكافأة لمن يأتى به ، وأكدوا ضمانة ذلك.

أما ما يكون ممكنا لكن لا تجرى به العادة ـ فقد جاءت شواهده فى مقامات تظهر عناد الكافرين وطلبهم أموراً من هذا القبيل ، مثل :

٣٣- قول الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ، إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ يطلبون أمراً لم تجر به العادة ، ولا تستدعيه دعوتهم إلى الإيمان .

٣٤ - وقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ (٢) .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ ﴾ يطلبون أمراً لا يستحيل عقلا ، لكن لا تجرى به العادة ، لأن السنن الكونية أن يأتىَ الأنبياء دون أن يصحبهم الملائكة ؛ لأن الحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ (٣) ، فمجيء الملائكة برسالة أو اشتراكهم فى تبليغ الدعوة صعب من حيث إنه لا يتناسب وطبيعة الأشياء ، لأن التفاهم بين الخلق يقتضى اتفاقا فى الجنس ، والتشريع يقتضى سلوكاً بشرياً يقتدى به بنو الإنسان ، وما جاء من مخاطبة الملائكة للنبيين فهذا من باب الخصوصية والتفرد ، والله أعلم .

ومما فيه الصعوبة راجعة إلى ما فيه من رهبة وخوف الشواهد الآتية :

٣٥ - قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

---

(١) هود : ١٢ .
(٢) الزخرف : ٥٣ .
(٣) الأعراف : ٩٥ .
(٤) الإسراء : ٥٣ .

٣٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ، إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

من الواضح أن المجيء بالسحر أمر عظيم لأن للسحر رهبة تملأ النفس. ففيه توافق بين الفعل (جاء) والسحر فى صعوبة كل منهما .

٣٧- وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

مجيء الريح العاصف ومجيء الموج من كل مكان مجيء صعب مرعب ، إذ ينتظر الموت من كل مكان لوجود أسبابه .

لذا حصل تساوى بين الفعل(جاء) وما أسند إليه وهو ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ومما هو من هذا الباب مجيء الساعة وعلاماتها ، والأمر بالإهلاك والعذاب .

٣٨- قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣) .

٣٩- وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (٤) .

٤٠- وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (٥) .

٤١- وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ (٦) .

---

(١) يونس : ٨١ .
(٢) يونس : ٢٢ .
(٣) الأنعام : ٣١ .
(٤) الإسراء : ١٠٤ .
(٥) محمد : ١٨ .
(٦) النازعات : ٣٤ .

٤٢- وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ (١) .

٤٣- وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ، وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٢) .

٤٤- وقال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣) .

٤٥- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

٤٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٥) .

٤٧- وقال تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٦) .

٤٨- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (٧) .

٤٩- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (٨) .

٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (٩) .

---

(١) عبس : ٣٣ .
(٢) هود : ٤٠ .
(٣) المؤمنون : ٢٧ .
(٤) هود : ٥٨ .
(٥) هود : ٦٦ .
(٦) هود : ٧٦ .
(٧) هود : ٨٢ .
(٨) هود : ٩٤ .
(٩) هود : ١٠١ .

٥١- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

٥٢- وقال تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ، قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىَ جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) .

ومما أسند فيه الفعل (جاء) إلى الخوف لم فيه من شدة وصعوبة ما يأتي :

٥٣- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٣) .

٥٤- وقال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ، أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾ (٤) .

ومما أسند فيه الفعل (جاء) إلى البأس والعذاب والوعيد به ما يأتي :

٥٥- وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

٥٦- وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٦) .

٥٧- وقال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ إِن جَاءَنَا ، قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٧) .

---

(١) غافر : ٧٨ .
(٢) الحديد : ١٤ .
(٣) النساء : ٨٣ .
(٤) الأحزاب : ١٩ .
(٥) الأنعام : ٤٣ .
(٦) الأعراف : ٤ ، ٥ .
(٧) غافر : ٢٩ .

٥٨- وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

ومن مجيء الوعد بالعذاب الذى أكثروا استعجاله فلم يغن عنهم شيء :

٥٩- وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

ومن مجيء الوعد بالتدمير والإهلاك :

٦٠- قوله تعالى إخباراً عن وعده بنى إسرائيل بما يحصل لهم عند إفسادهم فى الأرض : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ (٣) .

٦١- وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾ (٤) .

٦٢- وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِى ، فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ (٥) .

فالآيات السابقة فيها إسناد الفعل (جاء) إلى الوعد بالعذاب والتدمير ، فهو مجيء فيه صعوبة وشدة .

ومما هو مجيء صعب فيؤتى فيه بالفعل (جاء) دون (أتى) مجيء الموت والأجل من ذلك :

٦٣- قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) العنكبوت : ٥٣ . (٢) الشعراء : ٢٠٦ . (٣) الإسراء : ٤ ، ٥ .
(٤) الإسراء : ٧ . (٥) الكهف : ٩٨ . (٦) الأنعام : ٦١ .

٦٤- وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (١) .

٦٥- وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (٢) .

٦٦- وقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ، وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣) .

٦٧- وقوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ، لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٤) .

٦٨- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٥) .

٦٩- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ (٦) .

٧٠- وقوله تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

٧١- وقوله تعالى : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ ، لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .

فى كل ذلك كان الإتيان بالفعل (جاء) لما فيه من صعوبة تناسب ما أسند إليه من خوف وبأس وعذاب وموت .

ومما فيه الصعوبة راجعة إلى كون الجائى مستقبحاً ينفر منه ومما جيء به ـ ولو على سبيل الإدعاء ـ الشواهد الآتية :

٧٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ، بَلْ

---

(١) سورة ق : ١٩ .
(٢) المؤمنون : ٩٩ .
(٣) الأعراف : ٣٤ .
(٤) يونس : ٤٩ .
(٥) النحل : ٦١ .
(٦) فاطر : ٤٥ .
(٧) المنافقون : ١١ .
(٨) نوح : ٣ ، ٤ .

هُو خَيْرٌ لَّكُمْ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

﴿ جَاءُوا بِالإِفْكِ ﴾ هذا المجيء صعب المسلك ؛ لأن فى حوكه جهداً ومشقة ، وفى محاولة الوصولَ به إلَى التصديق مشقة أكبر ، فضلاً عن كونه مقيتاً مستنكراً ، لا يقبله ولا يرضى به أهل الصدق والإيمان ، ويشق على النفس قبوله وسماعه .

٧٣- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (٢) .

المجيء هنا صعب لأن ما جاءوا به فعل نفوس لعب بها الشيطان ، وهو بلاء يستعان عليه بالله ، ثم الصبر عليه .

ومما يؤكد مناسبة (جاء) لما هو مستقبح ، وله خطورته ـ ما جاء فى قصة إخوته عندما ظن بهم أهل العزيز سوءا ، واتهموهم بالسرقة ، فردوا عليهم بنفى مجيئهم لهذا .

٧٤- قال تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٣) .

لم يقولوا (ما أتينا) لأنهم بصدد نفى جرم يكون اقترافه صعباً ، فناسبه الفعل (جاء) لأنه مجيء إفساد وتخريب ، يأنف منه أصحاب النفوس السوية .

ومما فيه المجيء صعب لاستنكار ماجيء من أجله واستفظاعه ادعاء وعنادا ما يأتى :

٧٥- قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) .

٧٦- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) النور : ١١ .
(٢) يوسف : ١٨ .
(٣) يوسف : ٧٣ .
(٤) الأعراف : ٧٠ .
(٥) يونس : ٧٨ .

٧٧- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى ﴾ (١) .

٧٨- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ (٢) .

٧٩- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) .

المجيء فى هذه الشواهد محل استغراب وإنكار ، وغير مرغوب فيه ؛ لأنه ـ حسب ادعاء الكافرين وعنادهم ـ فيه إخراجهم من أرضهم ، وإبعادهم عن آلهتهم ، بل يزيدون فى اللجاجة ، ويتساءلون تساؤل المتجاهل عم جاء به الأنبياء ، من أنه لا يعرف أحق هو أم لعب ؟ .

تساوق الفعل مع المقام والسياق :

ومما ينبغى التنبه له أن إدراك الوجه فى مجيء أحد الفعلين لا يكون بمعزل عن ملاحظة سياق الكلام ومقامه الذى يأتى فيه ، يوضح لنا ذلك ويؤكده إمعان النظر فى الشواهد الآتية :

٨٠- قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ (٤) .

٨١- وقال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ (٥) .

قوله : ﴿ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ و ﴿ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ المجيء فيهما مجيء صعب ، والسياق هنا يشتمل على ذكر خرق يترتب عليه إهلاك وقتل غلام لم يبلغ الحلم بغير ذنب ارتكبه ؛ هذه أشياء وأمور يكون المجيء بها صعبا ، والمقام مقام استغراب وتعجب من أشياء لم تتبد حكمها لموسى عليه السلام ، فالمجيء هنا الذى هو بمعنى فعل ما يتعجب منه مجيء صعب ، لكن الأمر يختلف فى الآية الآتية عن الآيتين السابقتين .

٨٢- قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ (٦) .

---

(١) طه : ٥٧ . (٢) الأنبياء : ٥٥ . (٣) الأحقاف : ٢٢ .
(٤) الكهف : ٧١ . (٥) الكهف : ٧٤ . (٦) الكهف : ٧٧ .

الانطلاق هنا بدلالته علي الحركة وسهولتها تبعة أمر سهل هو نتيجة هذا الانطلاق ، وهو بلوغهما أهل قرية ووصولهم إلى ما ستتجلى فيه حكمة ثالثة ، فلم يأت بعده شيء صعب كما كان فى الآيتين السابقتين ، لذلك ناسبه الفعل « أتى » فى قوله تعالى ﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ والمقام يستدعى ـ أيضاً ـ الفعل « أتى » لأنه مقام غربة ، وكلاهما غريب فى القرية[1] .

وإذا كنا قد لحظنا فى شواهد العذاب والهلاك والأمر به ، وكذلك ما هو من قبيله كالخوف وكل ما هو فظيع أن المناسب فيها الفعل (جاء) للصعوبة التى فيها ـ فإننا نجدها فى سياقات أخرى قد جاء معها الفعل (أتى) لما فيه من التأتى وتطاول الحدث وسهولته ، من ذلك :

٨٣- قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً ﴾ السياق هنا ليس فيه تحديد لوقت الإتيان بليل أو نهار ، وهو إتيان مسبوق بتطاول الأحداث قبله وتنوعها : من أخذ الأرض زخرفها ، وتزينها حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها ، فتأتى لهم الأمر بالعذاب وتسهل إتيانه ، مصاحبا حالا كانت مطمئنة رغدا ، وفيها من الغرابة التى يناسبها الفعل (أتى) .

٨٤- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ ، إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3] .

الإتيان هنا ليس على سبيل الجزم وإنما جيء به على سبيل الغرض والاحتمال لتقريرهم بما يترتب عليه . فمقام الآية ومساقها يستدعيان الفعل (أتى) .

---

(١) أنظر المعانى اللغوية لمادة الفعلين . (٢) يونس : ٢٤ . (٣) الأنعام : ٤٠ .

٨٥- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

٨٦- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) .

الإتيان بالعذاب فى سياق الآيتين وقته متسع يدور بين ليل ونهار ، وبين علم به وعدم علم بأن يكون بغتة لذا كان المناسب للعذاب فى هذا السياق الفعل (أتى) لما فيه من التأتى وغرابة المجىء .

ومما يختلف معه الإتيان بالفعل (أتى) للدلالة على السهولة ، والفعل (جاء) للدلالة على الصعوبة تبعاً للمقام والسياق ـ الأحاديث والأنباء . إذ لم يأت مع ذكر الأحاديث إلا الفعل (أتى) لمناسبته ما فيها من سهولة وتأت ، وذلك كما فى الشواهد الآتية :

٨٧- قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٣) .

٨٨- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٤) .

٨٩- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٥) .

٩٠- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (٦) .

٩١- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (٧) .

المعنى فى الآيات والله أعلم ـ هل تيسر لك العلم وتسهل لك خبر ما كان ، وحديث ما شأنه كذا وكذا .. فناسب هذا التفصيل وتسهيل هذه الأخبار الإتيان بالفعل (أتى) .

---

(١) الأنعام : ٤٧ .
(٢) يونس : ٥٠ .
(٣) طه : ٩ .
(٤) النازعات : ١٥ .
(٥) الذاريات : ٢٤ .
(٦) البروج : ١٧ .
(٧) الغاشية : ١ .

وقد جاء مع النبأ الفعل (أتى) فى الآية الآتية :

٩٢- قال تعـالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ ﴾ (١) .

المعنى ـ والله أعلم ـ هل تسهل لك العلم بما حصل من الخصم حينما تسوروا المحراب على داود ، فإذا لم يكن لديك علم به ـ وهو كذلك ـ فنحن نسهل لك العلم ، ونخبرك به ثم تستطرد الآيات فى إخبار الرسول ﷺ بما كان من شأنهم بسهولة ويسر ، دون سبق انتظار منه عليه الصلاة والسلام ، وإنما بتفضل من الله تعالى .

لكن المقام يختلف اختلافا واضحا فى الآية الآتية عنه فى آية (ص) :

٩٣- قال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ بالفعل (جاء) مع النبإ خلافاً للآيات السابقة ـ والله أعلم ـ لأن المَقام مَقام تذكير من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما سبق الدعوة إلى الله من الأذى ، وصبرهم على ذلك حتى أتاهم النصر ، فقد جاءت الأنباء له بما يصعب إلا على أولى العزم .

والسياق له دلالته على خطـورة المجىء ، وأنه ذو شأن ؛ فقد جاء الفعل مؤكداً بالقسم ، وقد ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ ﴾ بل هو سـياق مشحون بدلالته على ذلك قبـل الفعل وبعده ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ فهذه خلاصة نبأ المرسلين ، ثم جاء الحكم الفصل ﴿ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ ثم جاء قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الـسَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) .

وذلك لتنبيه النبى ﷺ بأنه ليس له من الأمر شيء فعليه أن يخفف عن نفسه إعراضهم .

---

(١) سورة ص : ٢١ . (٢) الأنعام : ٣٤ . (٣) الأنعام : ٣٥ .

هذا السياق بما فيه من هذا الإعلام القاطع الواضح ، والإنباء بما كان ، وما يجب أن يكون ـ سياق قوة يناسبه الفعل (جاء) [1] ، ومن شواهد الإتيان بالفعل (جاء) مع الأنباء الآية الآتية :

٩٤- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [2] .

المقام فى الآية لإظهار قوة الأنباء وشدتها والسياق ـ أيضاً ـ له دلالته على ذلك بشموله كلمة (مزدجر) والإتيان بصيغة الجمع (الأنباء) بما تدل عليه من الكثرة ، كل ذلك يناسبه الفعل (جاء) لما فيه من الصعوبة .

ومن الشواهد الواضحة الدلالة على تساوق الفعل مع مقامه وسياقه الآيات الآتية :

٩٥- قال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [3] .

٩٦- وقال تعالى : ﴿ قَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [4] .

٩٧- وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ، بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [5] .

سنعلم ـ بعد ـ أن الحق ـ فى جميع شواهده ـ لم يسند إليه إلا الفعل (جاء) ذلك لما للحق من سلطان قاهر ، وقوة ملجئة إلى حكمه ، لكننا فى هذه الشواهد الثلاثة نلحظ الحق مجيئاً به وليس المجيء مسنداً إليه ـ وإنعام النظر بدلنا على أن سياق الآية الأولى (المؤمنون ٩٠) يناسبه الفعل (أتى) لأنه سياق يشعر بالتأتى والسهولة ؛ لأن الآيات فيه تحدثت عن وحدانية الله تعالى ، ونفى نسبة الولد إليه ، وتمثل التأتى إلى هذا الغرض فى عدة أسئلة تسلم إجاباتها كلها إلى الإقرار بالوحدانية ، فقد قررتهم بأن الأرض ومن فيها لله تعالى ، وأن الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، وأنه بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير من يستنجد به ، ولا يحول أحد بينه وبين من يريد إنزال عقوبته به ، هذا التقرير بأسلوب السؤال والجواب هو فى حقيقته من مسالك التأتى إلى

---

(١) أنظر الحديث عن السياق الخاص بالفعل (أتى) فى قوله : « أتاهم نصرنا » الشاهد ٩٣ .

(٢) القمر : ٤ .
(٣) المؤمنون : ٩٠ .
(٤) الزخرف : ٧٨ .
(٥) المؤمنون : ٧٠

الحق وتيسير الوصول إليه ، ومن ثم ناسبه الإتيان بالفعل (أتى) وإن كانوا بعد هذا التسهيل للأدلة والبراهين ادعوا الولد والشريك لله جل وعلا ، فختمت الآيات بقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١).

أما السياق فى الآية الثانية الزخرف (٧٨) فليس فيه ملاينة وملاطفة ، فبعد أن أخبر الله جل شأنه ـ بأحوال المؤمنين وجزائهم الكريم ـ أخبر عن المجرمين ، وما لهم من عذاب أليم لا يخفف عنهم ، ثم جاءت الآية معلنة كفار مكة بأنه قد جاءهم الحق ولكنهم لا يذعنون له لقلوبهم الغلف ، لذا فهم ماكثون فى جهنم لن يخرجوا منها .

فالسياق سياق قوة وتوعد وتخويف ، لذا ناسبه الفعل (جاء) لما فيه من دلالة على القوة والإلجاء والقهر ، والله أعلم .

وكذلك الآية الثالثة (المؤمنون ٧٠) مسبوقة بالحديث عن نكوص الكفار على أعقابهم ، واستكبارهم ، وعدم تدبرهم القول ، كأن ما جاءهم غريب لم يأت آباءهم الأولين مثله ، بل كأنهم لم يعرفوا رسولهم بما له من رجاحة عقل ، وحسن خلق ، فسوغوا لأنفسهم اتهامه بالجنون ليعرضوا عنه ؛ لذلك قهرتهم الآية الكريمة ، وأخبرتهم بأن رسول الله ﷺ قد جاءهم بالحق الواضح البين الذى كرهوه وأعرضوا عنه .

إسناد المجيء إلى الله تعالى :

وقد تكون صعوبة المجيء غير راجعة إلى الحركة والانتقال من حيز إلى آخر ، التى هى حقيقة المجيء المسند إلى المخلوق ، وإنما يكون مجيئاً ذا شأن لا يمكن معه إدراك سره والإحاطة به ، وهو المجيء المسند إلى الله تعالى .

٩٨- قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢) .

اختلفت آراء المفسرين للمجيء فى الآية ، فمنهم من يرى المجيء على حقيقته ، بأن يكون مجيئاً يليق بذاته وصفاته ـ جل وعلا ـ لا تدرك حقيقته ، ولا يتجلى إلا فى ظهوره جل وعلا .

---

(١) المؤمنون : ٩١ .

(٢) الفجر : ٢٢ .

قال الفيروزأبادى فى بيان الوجوه التى يراد بها الفعل (جاء) : « الوجه الأول : جيئة الهيبة من الملك والملك ، مثل : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » [1] .

ومنهم من يرى أن المراد بالمجيء الظهور والتجلى ، قال أبو حيان : « قال القاضى منذر بن سعيد : أى ظهر للخلق هنالك ، وليس بمجيء نقلة ، وكذلك مجيء الطامة والصاخة .. » [2] .

وعلى هذا يكون المجيء هنا غير متعين الدلالة على الحقيقة ، ويكون على سبيل المجاز [3] .

ويقوى اعتبار المجاز فى الشواهد الآتية :

٩٩- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [4] .

فالوجه فى قوله ﴿ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ ﴾ ـ والله أعلم ـ أى أنزلنا إليهم كتابا .

١٠٠- وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [5] .

﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾ أى ـ والله أعلم ـ بعثناك وأرسلناك شهيداً عليهم .

١٠١- وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [6] .

---

(١) بصائر ذوى التنوير فى لطائف الكتاب العزيز : ٤١١/٢ .

(٢) البحر المحيط : ٤٧١/٨ وينظر : ١٢٤/٢ ، ٤٠٠/٥ ـ وجامع البيان : ٣٢٧/٢ والكشاف : ٣٥٣/١ والقرطبى : ٨٣٣ .

(٣) علق الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد على هذا عند قراءته للبحث قائلاً : مثل هذا الإنكار نسلمه ، إذ لا دليل من عقل أو نقل على استحالة وقوع فعل مجيء من الله يليق بذاته وصفاته، وشأن الفقه البيانى لدلالة الأفعال مطلقاً ملاحظة حال من تسند إليه ، فليس الفعل المسند للخلق هو بدلالته التركيبية للعبارة ، ولا يقول بهذا أحد .

(٤) الأعراف : ٥٢ . (٥) النحل : ٨٩ . (٦) الفرقان : ٣٣ .

﴿ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ أى ـ والله أعلم ـ أنزلنا عليك الحق الذى هو أحسن من كلامهم .

(مجيء الملائكة) ، ومن المجيء الذى له شأن لما فيه من البشارة أو الرهبة والتخويف فيكون صعبا ـ مجيء الملائكة .

١٠٢- قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (١) .

﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ المجيء هنا له خطره وشأنه ، ثم هو مجيء صعب عل من يتوفى .

١٠٣- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٢) .

مجيء الرسل إلى آل لوط بالعذاب الذى كانوا فيه يمترون مجيء صعب لما فيه من التدمير والإهلاك ، لكن عندما صار الإتيان إلى لوط بالحق والصدق الذى لا مراء فيه جاء الفعل (أتى) والوجه فى ذلك أن هذا الإتيان سهل لأنه ليس فيه عذاب وشدة مما يجعله صعباً يناسبه الفعل (جاء) .

١٠٤- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٣) .

المجيء هنا صعب لما يحمله من الإهلاك والتدمير .

١٠٥- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ٣٧ .
(٢) الحجر : ٦١ - ٦٤ .
(٣) العنكبوت : ٣١ .
(٤) العنكبوت : ٣٣ .

المجيء هنا صعب لأن فيه إهلاك وتدمير ، ومما له دلالة على كون مجيء الملائكة له شأن إساءته لوطا وخوفه وحزنه منه .

وقد تكون صعوبة المجيء ليست راجعة إلى الحركة ، بأن يكون الفعل جاريا على سبيل التوسع والمجاز فى مقام بيان شأن الآتى ومكانته ، كالحديث عن مجيء الرسل بمعنى إرسالهم ، وعن مجيء الكتاب والذكر والبرهان والآيات بمعنى الإنزال ، وعن مجئ العلم بمعنى حصوله وتحققه ، وعن مجيء الحق بمعنى ظهوره وغلبته ، وهكذا .

مجيء الرسل (عليهم الصلاة والسلام) :

لما كان مجيء الرسل ذا شأن وخطر لاصطفاء الله لهم وتمييزهم عن غيرهم من الخلق صار ذلك بمنزلة الصعوبة فى الحركة .. وكان المناسب أن يسند الفعل (جاء) إلى الرسل ـ عليهم السلام ـ ومما يدل على مكانة مجيئهم وخطره أننا نجد العجب من أقوامهم عند إرسالهم ، لما فيه مجيئهم من صعوبة ترجع إلى تعبير العادات وإزالة مظاهر الشرك والانحراف فيهم ، لذلك عاندوا ، وكرهوا أن يؤمنوا بهم .

١٠٦- قال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَـذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (١) .

١٠٧- وقال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٢) .

ثم هم يستكبرون ويكذبون مجيء الرسل ويذهبون إلى إيذائهم وقتلهم . وهذا ـ ولاشك ـ واضح الدلالة على صعوبة مجيء الرسل وتحملهم له .

ثم هم يستكبرون ويكذبون مجيء الرسل ويذهبون إلى إيذائهم وقتلهم ، وهذا ـ ولا شك ـ واضح الدلالة على صعوبة مجيء الرسل وتحملهم له .

١٠٨- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

---

(١) سورة ص : ٤ .

(٢) سورة ق : ٢ .

مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (١) .

١٠٩- وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾ (٢) .

١١٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) .

١١١- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُوراً ﴾ (٤) .

ومما يصور لنا ما يتحمله المرسلون فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى وما يقابلهم من التكذيب ـ الآيات الآتية :

١١٢- قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ من شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ (٥) ، استبعد الله سبحانه وتعالى إيمان المعاندين لرسول الله ﷺ حتى ولو أظهروا ذلك عند نزول العذاب بهم ، شأنهم فى ذلك شأن قوم فرعون ، كما جاء فى هاتين الآيتين :

١١٣- قال تعالى : ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧) .

وجميع شواهد مجيء الرسل واضحة فى دلالتها على خطر الرسالة ، وأهمية الغاية منها ، وأثرها فى حياة الإنسان ، فهم قد جاءوا لإنذار أقوامهم ، وتوجيههم إلى عبادة الله وحده ، ولإبلاغهم الحكمة البالغة ، والآيات البينة ، والحق والهدى والصدق الذى أنزل

---

(١) البقرة : ٨٧ .
(٢) المائدة : ٧٠ .
(٣) النحل : ١١٣ .
(٤) الإسراء : ١٠١ .
(٥) يس : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
(٦) الدخان : ١٣ .
(٧) الدخان : ١٧ .

عليهم ، كل هذا واضح فى أن مجيء الرسل ليس بالأمر الهين السهل ، وإنما له خطره وشأنه .

فمن شواهد مجيئهم وتسميتهم بالنذر الآيات الآتية :

١١٤- قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (١) .

١١٥- وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (٢) .

١١٦- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ (٣) .

أى موسى وهارون عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ، أو النذر جمع نذير ، وهو الإنذار، والآيات التى أرسلها الله لهم (٤) .

١١٧- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ كَبِيرٍ ﴾ (٥) .

ومن شواهد مجيئهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده الآيات الآتية :

١١٨- قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ ، قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٦) .

وقول المعاندين - وإن كان باطلا : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً ﴾ إعلاما منهم بأنهم يدركون خطر الرسالة وأهميتها .

١١٩- وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧) .

يبين لكم الدين الخالص الذى محض دعوته عبادة الله وحده .

---

(١) فاطر : ٣٧ .
(٢) فاطر : ٤٢ .
(٣) القمر : ٤١ .
(٤) ينظر الكشاف : ٤/٤١ .
(٥) الملك : ٩ .
(٦) فصلت : ١٤ .
(٧) المائدة : ١٥ .

١٢٠- وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

المجيء في الآية مجيء له هدف ، وغاية سامية ؛ لأنه لبيان طريق الحق من طريق الباطل ، بعد أن عمت الجاهلية ، وانحرف من انحراف عن الطريق بعد الرسالات السابقة ، وهو مجيء يقطع عل أهل الكتاب أن يتعللوا بعدم تحقق هذا المجيء الذى له أهمية ، ثم تؤكد الآية أنه قد جاءهم بشير - وذلك للطائعين - ونذير - وذلك للعاصين - وهذه تجليات قدرة الله تعالى لعباده .

على أن أهل الكتاب عاندوا وأنكروا ما عندهم من العلم بالبشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام .

١٢١- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقد رفضوا الإيمان بالرسول الخاتم مع أن الإيمان لا يتحقق إلا به ؛ لأن التصديق به حتم ؛ إذ دعوته كافة لجميع الأمم بدليل :

١٢٢- قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ، قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣) ، على أن رسالة الرسول ﷺ رسالة رأفة ورحمة ، ومجيئه رحمة لقومه وللعالمين ، وله خطره وشأنه .

١٢٣- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

عليه الصلاة والسلام ..

---

(١) المائدة : ١٩ .
(٢) البقرة : ١٠١ .
(٣) آل عمران : ٨١ .
(٤) التوبة : ١٢٨ .

وأكثر الشواهد لمجيئهم الشواهد التى فيها إخبار بمجيئهم بالآيات البينات ، والحكمة.

١٢٤- وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

١٢٥- وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢) .

١٢٦- وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

١٢٧- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤) .

١٢٨- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥) .

١٢٩- وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٦) .

١٣٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٨٣ ، ١٨٤ . (٢) المائدة : ٣٢ . (٣) الأعراف: ١٠١ .
(٤) يونس : ١٣ . (٥) يونس : ٧٤ . (٦) الروم : ٩ .
(٧) الروم : ٤٧ .

١٣١- وقال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

١٣٢- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

١٣٣- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) .

١٣٤- وقال تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ ،قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) .

١٣٥- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥) .

١٣٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ،إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦) .

١٣٧- وقال تعالى : ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ (٧) .

١٣٨- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ، وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٨) .

وفي الإخبار عن موسى أيضاً :

١٣٩- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (٩) .

---

(١) فاطر : ٢٥ . (٢) غافر : ٨٣ . (٣) البقرة : ٩٢ .
(٤) الأعراف : ١٠٥ ، ١٠٦ . (٥) الشعراء : ٣٠ . (٦) القصص : ٣٦ ، ٣٧ .
(٧) العنكبوت : ٣٩ . (٨) غافر : ٢٨ . (٩) الزخرف : ٤٧ .

وفى الإخبار عن مجيء عيسى بالبينات ، وما لها من شأن :

١٤٠- قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

والمجيء بالبينات والمجيء بالحكمة بمعنى .

١٤١- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (٢) .

١٤٢- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (٣) .

وهكذا شأن المعاندين فى عدم قبول الآيات والشك فيها .

١٤٣- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴾ (٤) .

وكما ذكر المرسلون بإتيانهم بالآيات ذكروا أيضاً بإسناد المجيء بالكتاب والحق والهدى الصدق إليهم ، وكلها بمعنى .

١٤٤- قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ، تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ، وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ ، قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) المائدة : ١١٠ .
(٢) الزخرف : ٦٣ .
(٣) غافر : ٣٤ .
(٤) الروم : ٥٨ .
(٥) الأنعام : ٩١ .

١٤٥- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ ، وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (١) .

١٤٦- وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ، وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

١٤٧- وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٣) .

١٤٨- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ، قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) .

١٤٩- وقال تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥) .

١٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٦) .

١٥١- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ اقْتُلُواْ أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ وَاسْتَحْيُواْ نِسَاءَهُمْ ، وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ (٧) .

١٥٢- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٨) .

١٥٣- وقال تعالى في قصة البقرة ، ووحيه إلى موسى وإخباره بما سألوا عنه : ﴿ قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (٩) .

ومما فيه نفي المجيء ببينة .

---

(١) النساء : ١٧٠ .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) الأعراف : ٥٣ .
(٤) القصص : ٨٥ .
(٥) الصافات : ٣٧ .
(٦) الزمر : ٣٣ .
(٧) غافر : ٢٥ .
(٨) الزخرف : ٢٤ .
(٩) البقرة : ٧١ .

١٥٤- قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

قد اتضح بهذه الشواهد التى ذكرناها صحة الوجه الذى ذكرناه : من أن إرسال الرسل لكونه ذا شأن وخطر لما يضطلعون به من مهمة التبليغ والإنذار وتحمل الأذى فى سبيل ذلك ـ لكونه كذلك ناسبه أن يسند إلى الرسل الفعل (جاء) لما له من دلالة على صعوبة الفعل وخطره (٢) .

ولم يأت الفعل (أتى) مع الرسل إلا فى خمسة شواهد ، اقتضى الإتيان به مساق الكلام ومقامه ، وقد جاء فى شاهدين منها مثبتا ، وفى الثلاثة الباقية منفياً ، هى فيما يأتى :

١٥٥- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وأتتهم رسلهم بالبينات ، العقل هنا (أتى) بلفظ الماضى ، ولم يأت الفعل (جاء) مع أنه قد أتى فى آية أخرى مشابهة لها فى تركيب الجملة ، وفى تذييلها ، وهى :

[١٢٩] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤) .

والوجه فى ذلك ـ والله أعلم ـ أن مساق الآية الأولى (التوبة ٧٠) للسؤال عن تسهل مجيء الرسل عليهم السلام ـ بالبينات ، دون اشتمال السياق على ما يدل على

---

(١) هود : ٥٣ .

(٢) أسند الفعل (جاء) إلى الأنبياء والرسل فى تسعة وخمسين شاهداً وقعت فى ثلاث وأربعين آية هى التى حصرناها هنا ، وقد أسند الفعل (جاء) أيضاً إلى الملائكة مسمّون بالمرسلين فى الشواهد الخاصة بالملائكة .

(٣) التوبة : ٧٠ .

(٤) الروم : ٩ .

التهديد عند مجيء الآيات لمن قبلهم ، وكذلك الآية مبدوءة بضمير الغائبين العائد على المسئول عن وصول الأنباء إليهم (ألم يأتهم) فليس ثمة ما يناسب صعوبة المجيء ، ثم أتت الآية التى بعدها مخبرة عن ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً ، مبينة ما اتصفوا به من صفات الإيمان ، ورحمة الله بهم ، وما أعد لهم من الجنات والمساكن الطيبة .

وأما آية الروم (٩) فالسياق فيها مشحون بالحث على السير فى الأرض ، والنظر فى عاقبة من كانوا قبلهم ، بما لهم من قوة وعمارة للأرض ، وجاءت ـ كذلك ـ الآيات التى قبلها فيها الإخبار بغفلة كثير من الناس الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، وعدم تفكرهم فى خلق السموات والأرض ، الذى قام بالحق ، وأن كثيراً من الناس يكفرون بلقاء الله ـ وجاءت الآيات بعدها تبين عاقبة الذين أساءوا السوء ، وأن الله يبدأ الخلق ثم يعيده ، وأن المجرمين سيبلسون عند قيام الساعة ، هذا السياق بما فيه يناسبه الفعل (جاء) لما له من دلالة على صعوبة مجيء الآيات لما فيها من إنذار وتبشير .

وكذلك يختلف مساق الآية الآتية عن مساق آية (التوبة ٧٠) السابقة :

١٥٦- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ، لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (١) .

ووجه الاختلاف بين الآيتين ـ والله أعلم ـ أن الآية هذه فبدوءة بالسؤال عن إتيان نبأ الذين من قبلهم من الأقوام السابقين إلا أن مساق السؤال هنا يختلف عنه هناك ؛ لأن السؤال هنا عن إتيان الأنباء للمخاطبين أنفسهم الذين ينذرون بهذه الأنباء وينبهون بها إلى جزاء المعرضين ، وما كان من شأن هؤلاء الأقوام ، وقد بينت الآية الكريمة إظهار الرسل حجتهم الواضحة ، ودعوتهم أممهم إلى الإعلان ، وإلجاءهم إلى ذلك بالدليل الساطع والحجة البالغة ، لذلك حاول الكافرون المعاندون إطفاء هذا النور ، ومنع وصوله إلى الناس ، بإمساكهم أفواه رسلهم ليمنعوا حجتهم ، ويخففوا عن أنفسهم تبعة التكليف وما حمله مجيئهم من إنذار وتخويف ، والله أعلم .

---

(١) إبراهيم : ٩ .

١٥٧- وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ... ﴾ أى ـ والله أعلم ـ ولئن تسهل لك الإتيان بكل آية وحجة وبرهان على صحة قبلتك ووجوب اتباعها فلن يتبعوها ، فوجه الإنكار واللوم لهم أنهم يرفضون ولو جاءتهم جميع الآيات وتسهل لرسول الله الإتيان بها ، والآيات هنا آيات إقناع وتدليل على صحة القبلة والدعوة إلى إيمانهم ، وليست آيات تخويف وإهلاك وإنذار ، بدلالة مقام الآية وسياقها .. لكن عندما كان المجيء مسنداً إلى الآية نفسها فى مقام التخويف والزجر والوعيد بالعذاب وفى سياق يدل على ذلك كان الفعل المناسب لها الفعل (جاء) إعلاما بشدة الآية ، والقهر فيها ، ثم تأكدت هذه الدلالة على انصرافهم مع كثرة الزجر بإسناد الفعل إلى لفظ العموم (كل) لشمول جميع الآيات .

وذلك فى الآية الآتية :

١٥٨- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (٢) .

أى لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ يطلبونها وتكون فيها إزالة الشبهة وتردهم عن الكفر وتلجئهم إلى الإيمان ـ ما آمنوا ، ولبثوا على ضلالهم وكفرهم حتى يبصروا بأعينهم العذاب الأليم .

فالمجيء هنا فيه قهر وإلجاء وشدة وصعوبة .

وقد جاء الفعل (أتى) منفيا لإفادة نفى تسهل مجيء الرسل فى الآيات الآتية :

[١٤] قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أى ـ والله أعلم ـ ما تسهل لهم مجيء النذير ،

---

(١) البقرة : ١٤٥ . (٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧ . (٣) القصص : ٤٦ .

وما يسرنا لهم ذلك قبلك ، ولكن الله تفضل على أمتك وسهل لها رسالتك ، وسياق الآية الكريمة له دلالته على محض الفضل من الله تعالى ، وذلك باكتناف إنذاره قومه (عليه الصلاة والسلام) بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ وقوله تعالى إعلاناً بأنه يرجى تذكرهم : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فمساق الكلام يدل على الرحمة فى إتيانه ، والرجاء فى هدايتهم ، وأن الله جل وعلا سهله لهم .

[١٥] وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أى ما تسهل لهم مجيئه إليهم .

١٥٩- وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٢) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى ما سهلنا مجيء رسول لمن كانوا قبلكم إلا قابلوا هذا التسهيل بالنكران ، واتهامهم ما هم منه براء .

مجيء الآيات والنذر :

ومن مواطن القوة التى يناسبها الفعل (جاء) الحديث عن مجيء الآيات والنذر ، لما للآيات من إظهار الحجة ، والإلجاء إلى الإيمان ، وتثبيت اليقين لمن أراد الله به الخير .

والمراد بمجيء الآيات ظهورها ، والتمكين من معرفتها للعمل بمقتضاها .

١٦٠- قال تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ، وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

قال الزمخشرى : « من بعد ما تمكن منها ... » (٤) .

---

(١) السجدة : ٣ .
(٢) الذاريات : ٥٢ .
(٣) البقرة : ٢١١ .
(٤) الكشاف : ٣٥٤/١

وقال أبو حيان : « من بعد ما أسديت إليه ، وتمكن من قبولها ، ومن بعد ما عرفها »[1] .

وارتباط التمكن والمعرفة بقوة المجيء وظهوره واضح لا يخفى ، ويبعد النكوص بعد هذا التمكن من الزلل ، ومن التبديل بعد العلم .

١٦١- قال تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

وبين الله تعالى الحكمة من مجيء الآيات وهى منع احتجاجهم عند الحساب بأنه لم يأتهم كتاب يدعوهم إلى الإيمان .

١٦٢- قال تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾[3] .

والشأن فى الآيات أن تأتى لتأكيد الدعوة إلى الإيمان .

١٦٣- قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] .

١٦٤- وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5] .

وشأن الآيات الدعوة إلى الإيمان والصرف عن الكفر فهى بطبيعتها تهدى إلى الصواب ، ولكل إنسان جزاء اختياره .

---

(١) البحر المحيط : ١٢٨/٢ . (٢) البقرة : ٢٠٩ . (٣) الأنعام : ١٥٧ .
(٤) الأعراف : ٧٣ . (٥) الأعراف : ٨٥ .

١٦٥- قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (١) .

والرسل عليهم السلام هم قدوة أهل الإيمان فى الاستجابة لها .

١٦٦- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ من رَّبِّى ، وأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وأتباعهم يتمسكون بالإيمان ويصبرون على الأذى لما استقر فى نفوسهم من حجة الآيات البينات والإيمان بها .

١٦٧- قال تعالى حكاية عن سحرة فرعون بعد إيمانهم : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

١٦٨- وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٤) .

ومما هو واضح الدلالة على قوة الآيات وعظم شأن مجيئها أن القرآن الكريم يتحدث عن اختلاف الناس بعد مجيئها إليهم ، وهذا النعى على اختلافهم بعد الآيات دليل على أن الآيات من شأنها أن تمنع هذا الاختلاف وقد جاء ذلك فى شواهد عدة :

١٦٩- قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) .

١٧٠- قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ

---

(١) الأنعام : ١٠٤ . (٢) غافر : ٦٦ . (٣) الأعراف : ١٢٦ .
(٤) طه : ٧٢ . (٥) البقرة : ٢١٣ .

مَا اقْتَتَلَ الَّذِيـــنَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١) .

١٧١- قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ الـسَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الـصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ، ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾ (٢) .

١٧٢- وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٣) .

ويحكى الله سبحانه وتعالى قصة قوم فرعون فى إعراضهم وتكذيبهم الآيات مع كثرتها ووضوحها .

١٧٣- قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَـاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

ويحذر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام ، وينهاهم عن الاختلاف كما اختلف الذين من قبلهم .

١٧٤- قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِيـنَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٥) .

ومع تنوع الآيات فى بيان اهتداء من اهتدى ، واختلاف من اختلف ، ودعوة الناس عامة إلى الهدى ـ يبين الله تعالى أن من يرد إضلاله لا تنفع معه الآيات .

١٧٥- قال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الـرَّسُـولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦) .

ولم نجد الفعل (أتى) جاء مع الآيات إلا فى شاهد واحد وهو :

---

(١) البقرة : ٢٥٣ . (٢) النساء : ١٥٣ . (٣) البينة : ٤ .
(٤) النمل : ١٢ ، ١٣ . (٥) آل عمران : ١٠٥ . (٦) آل عمران : ٨٦ .

١٧٦- قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ ، أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (١) .

والوجه فى ذلك ـ والله أعلم ـ كون مساق الآية للدلالة على تسهل الآيات ونفاذها ، ووصولها إليه ، ثم إيمانه بها واستقرارها عنده ، لكنه نسيها ، وضل بعد هداية ، لذا نسيه الله جزاء وفاقا .

والتناسب واضح بين تمكنه من البصر وتيسيره له ، ثم إزالته عنه ، وحشره أعمى ـ وبين تسهل الآيات وبلوغها إليه ، وتمكنه منها ، ثم نسيانه لها واتباعه هواه .

ويؤكد الوجه الذى ذكرناه ملاحظة الفرق بين مساق الآية السابقة والآية الآتية :

١٧٧- قال تعالى : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

فالمجىء هنا فى سياق قوة ؛ لاشتماله على رفض ما يتعلل به الكافر يوم القيامة من وجوه التعلل المرفوضة ، كادعاء إمكان تحقق الهداية لو جاءتهم الآيات وهداهم الله إليها ، وأنهم انتظروا ذلك ، فدحض الله احتجاجهم ، وأنكر عليهم ما يدعون ، وأخبر ـ جل وعلا ـ أن الآيات قد جاءت ، لكن شأن الكافرين التكذيب والاستكبار ، فمقام الآية وسياقها يتناسب معهما الفعل (جاء) (٣) .

مجىء القرآن الكريم :

ومما له شأنه وخطره مجىء القرآن الكريم ، لغلبة حجته ، وإلزامه من يخاطبهم بالدليل .

١٧٨- قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ، أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٤) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى جاءهم أمر ، وغلبهم القرآن بحجته ، وهو لم يتيسر لآبائهم فاستكبروا وأعرضوا (٥) .

---

(١) طه : ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢) الزمر : ٥٩ .
(٣) أسند الفعل (جاء) إلى الآيات فى سبع عشرة آية ، وأسند إليها الفعل (أتى) فى آية واحدة .
(٤) المؤمنون : ٦٨ .
(٥) ينظر جامع البيان : ١٨ / ٤١ .

وقد أسند الفعل (جاء) إليه وهو بلفظ الكتاب ، أو الذكر ، أو الهدى ، أو الموعظة ، أو البرهان ، أو الصدق ، مما هو تسمية بالوصف .

١٧٩- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وجاءهم (كتاب) له شأنه ؛ لأنه من عند الله ، مصدق لما معهم من الكتب .

[١١٩] وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

النور محمد ـ ﷺ ـ أو القرآن ، وعطف (كتاب) عليه للتفسير والله أعلم .

١٨٠- وقال تعالى : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣) .

١٨١- وقال تعالى : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ، وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ، فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

أى جاءكم تذكير لكم وموعظة من ربكم على رجل منكم تعرفون لغته وخلقه .

١٨٢- وقال تعالى فى شأن من اتبع خليل السوء : ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (٥) .

١٨٣- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٨٩ .
(٢) المائدة : ١٥ .
(٣) الأعراف : ٦٣ .
(٤) الأعراف : ٦٩ .
(٥) الفرقان : ٢٩ .
(٦) فصلت : ٤١ .

ومن شواهد تسميته بالهدى الآيات الآتية :

١٨٤- قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ (١) .

﴿ جاءهُمُ الْهُدَى ﴾ أى القرآن الذى يهديهم إلى الحق ، أو الرسول ﷺ ، والله أعلم .

١٨٥- وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴾ (٢) .

١٨٦- وقال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ، بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣) .

١٨٧- وقال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٤) .

ومن تسمية القرآن موعظة :

١٨٨- قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ، لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

ومن تسمية القرآن برهانًا :

١٨٩- قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٩٤ .
(٢) الكهف : ٥٥ .
(٣) سبأ : ٣٢ .
(٤) النجم : ٢٣ .
(٥) البقرة : ٢٧٥ .
(٦) النساء : ١٧٤ .

ومن تسميته صدقاً :

١٩٠- قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقد تتعدد تسمية القرآن في الآية الواحدة :

١٩١- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

١٩٢- وقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

مجيء الحق :

ومن مجيء القوة مجيء الحق ؛ لأن الحق يأخذ بجميع جهات من يأتيه ، لقوة سلطانه ، وشأنه أن يقذف به على الباطل فيدمغه ، لذا لم يأت معه إلا الفعل (جاء) .

ووجه آخر : أنهم قالوا : إن الأصل في (جاء فلان) عدم احتياجه إلى صلة ؛ لأنه كلام قام . أما (أتى فلان) فإنه يحتاج إلى صلة ، أي إتيان بشيء ، وذلك قبل أن يكثر استعمال أحد اللفظين مكان الآخر (٤) .

وإذا كان الشأن كذلك فإن المناسب للحق إسناد الفعل (جاء) إليه ؛ لكون الحق غاية في ذاته ، لا يحتاج مجيئه إلى صلة ، ويتم الكلام به .

ويراد بالحق ـ في أغلب الشواهد ـ القرآن الكريم .

١٩٣- قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الزمر : ٣٢ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) هود : ١٢٠ .

(٤) ينظر الفروق : ص ٣٠٥ .

(٥) المائدة : ٤٨ .

١٩٤- وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ، وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

الآية تدل على قوة الحق وهو القرآن الكريم ؛ وظهور برهانه إذ عطف الإيمان به على الإيمان بالله تعالى .

١٩٥- وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

١٩٦- وقال تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (٣) .

١٩٧- وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (٤) .

١٩٨-وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ، أَوَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ ، قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ (٥) .

١٩٩- وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

٢٠٠- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَـذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ، وَقَالُواْ مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧) .

---

(١) المائدة : ٨٤ .
(٢) الأنعام : ٥ .
(٣) يونس : ٩٤ .
(٤) يونس : ١٠٨ .
(٥) القصص : ٤٨ .
(٦) العنكبوت : ٦٨ .
(٧) سبأ : ٤٣ .

٢٠١- وقال تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (١) .

٢٠٢- وقال تعالى : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢) .

٢٠٣- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

٢٠٤- وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ (٤) .

٢٠٥- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ، وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٥) .

وقد جاء الحق في قصة موسى عليه السلام مراداً به الآيات التي أظهرها لفرعون وقومه .

٢٠٦- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ، أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٦) .

وقد أسند الفعل (جاء) إلى الحق مراداً به النصر في الآيتين الآتيتين :

٢٠٧- وقال تعالى : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٧) .

٢٠٨- وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨) .

---

(١) سبأ : ٤٩ .
(٢) الزخرف : ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) الأحقاف : ٧ .
(٤) سورة ق : ٥ .
(٥) الممتحنة : ١ .
(٦) يونس : ٧٦ ، ٧٧ .
(٧) التوبة : ٤٨ .
(٨) الإسراء : ٨١ .

مجيء العلم :

ومن المجيء الذى له شأن وأهمية مجيء العلم ؛ لأنه يزيل الجهل ، ويرفع الغشاوة عن الأعين ، لما له من ظهور الحجة وقوة البرهان والمنع من الهـوى والضلال ، ولذلك لم يأت معه إلا الفعل (جاء) .

٢٠٩- وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (١) .

« ما جاءك من العلم » ـ الدين ، وجعله علماً لأنه معلوم بالبراهين الصحيحة ... وقد فسر العلم بالقرآن ، وبالعلم بضلال القوم ، وبالبيان بأن دين الله هو الإسلام ، وبالتحول إلى الكعبة .... » (٢) .

وهو فى كل ذلك مجيء فيه قوة ووضوح ، لذا ناسبه الفعل (جاء) .

[١٥٧] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

٢١٠- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) .

٢١١- وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ من بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ١٢٠ .
(٢) البحر المحيط : ٣٦٩/١ .
(٣) البقرة : ١٤٥ .
(٤) آل عمران : ١٩ .
(٥) آل عمران : ٦١ .

٢١٢- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

أى أنهم اختلفوا فضلوا بعد وضوح البرهان ومجيء العلم الذى هو داع لاتباع الدين القويم ، وهو دين الإسلام .

٢١٣- وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٢) .

« العلم » القرآن بما فيه من الأحكام والشرائع وكل ما يقوم به الدين ، وما عداه هوى متبع .

٢١٤- وقال تعالى حكاية لما قاله إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (٣) .

٢١٥- قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٤) .

٢١٦- وقال تعالى فى شأن بنى إسرائيل : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) .

صعوبة المجيء ومعنى الإلجاء :

يرتبط بصعوبة المجيء استعمال الفعل (جاء) فى المقامات والسياقات التى تشعر بمعنى القهر والإلجاء ، وتكون قوة الفعل راجعة ـ فى الحقيقة ـ إلى فاعله الحقيقى ، لا الفاعل فى صنعة الكلام ، من ذلك :

---

(١) يونس : ٩٣ .
(٢) الرعد : ٣٧ .
(٣) مريم : ٤٣ .
(٤) الشورى : ١٤ .
(٥) الجاثية : ١٧ .

٢١٧- قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ، لَقَد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (١) .

مقام الآية وسياقها يرتبطان بيوم القيامة ، والخطاب للظالمين الذين افتروا على الله الكذب ، وادعوا الباطل ، وتبكيت لهم بأنهم جاءوا إلى ربهم وليس معهم من ظنوا فيهم النفع .

ومعلوم أن كل ما يتصل بذلك يعود إلى فاعله الحقيقى ، وهو الله القاهر فوق عباده - جل وعلا - والمجيء هنا مرده إلى الله ، وليس إلى الفاعل النحوى فى (جئتمونا) فهو مجيء فيه قهر وإلجاء .

٢١٨- وقوله تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ، لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ جئتمونا ﴾ المجيء هنا فيه قهر وإلجاء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى - هو الذى أجاءهم ، لأنه لو كان الأمر إليهم ما جاءوا ، والسياق يدل على هذا القهر بما تحكيه الآية من باطلهم ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ لذا لا يكون الفعل (أتى) مناسباً لهذا السياق لما له من دلالة على السهولة ، وكونه من ذات الآتى ، وليس عن قهر وإلجاء .

٢١٩- وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

المقام هنا كالمقام فى الآيتين السابقتين ، والسياق هنا فيه حشر ، وسوق ، وتقرير لهم بما قالوه وافتروه ، فالمجيء هنا ليس من ذات نفوسهم ، وإنما على سبيل القهر والإرغام ، فهو مجيء صعب .

٢٢٠- وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (١) .

---

(١) الأنعام : ٩٤ .
(٢) الكهف : ٤٨ .
(٣) النمل : ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) الزخرف : ٣٨ .

المجيء هنا مجيء قهر لأنه فى يوم القيامة ، وصعوبته ومشقته تعمان العباد جميعاً .

وقد يكون المجيء مرتباً على أمر صعب يكون علة له ، وملجئاً إليه فى اعتبار العرف أو الشرع ، وذلك مثل :

٢٢١- قول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ (١) .

فمقام الآية وسياقها يشيران إلى القهر والإلجاء إلى المجيء لأنهم لا يأتون إلا بعد مصيبة تلجئهم إلى ذلك ، لأن عادتهم التى جبلوا عليها من النفاق والكراهية للرسول ﷺ تتبدى فى بعدهم عن الرسول ﷺ وقت اليسر ومجيئهم إليه وقت الشدة ، على خلاف ما طبع عليه أهل الإيمان ، فقد مدح رسول الله ﷺ الأنصار قائلا : « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » (٢) .

٢٢٢- وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (٣) .

المجيء فى الآية للاستغفار ، وهو مرتب على علته ، وهو ظلم النفس ، ذلك أن الشرع يدعو إلى أن يلجأ العاصى إلى الله تعالى تائباً ، ويذهب إلى الرسول ﷺ معتذراً معلناً توبته إلى الله جل وعلا .

وقد تحول صيغة الفعل للتعدية ، ويسند إلى السبب الظاهر فيكون له مزيد دلالة على القهر والإلجاء .

٢٢٣- قال تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيًّا ﴾ (٤) .

فالإجاءة قهر وغلبة ، أى ألجأها المخاض واضطرها فحركة الفعل واضحة الصعوبة يناسبها الفعل (جاء) وما يتصرف منه .

* * *

---

(١) النساء : ٦٢ .

(٢) انظر الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والأثر . لابن الأثير باب الفاء مع الزاى جـ ٣ ص ٤٤٣ .

(٣) النساء : ٦٤ .

(٤) مريم : ٢٣ .